

الدعوة للطاعة

مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الْاسْتِقْصَاءِ

قال الرب يسوع: "وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحَدَّكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ" (يوحنا ١٧: ٣). يعرف معظم المسيحيين عن الله، لكنهم لا يعرفون الله. لدى اليونانيين عدة كلمات بمعنى "المعرفة". والكلمة التي يستخدمها الرب يسوع هنا بمعنى المعرفة هي "ginosko" جينوسكو" وتعني المعرفة الوثيقة التي تأتي من علاقة لصيقة. يبدو الأمر مثلما يحدث قبل الزواج، حيث كنت تعرف عن زوجتك، لكنك لا تعرف زوجتك حقًا إلا حين تتزوج.

يمكنك أن تقول عن شخص مسيحي إنه يعرف الله حقًا من خلال الطريقة التي يعيش بها، وكم مرة يسأل الله عند وقوع مأساة أسئلة مثل: "أين كان الله ولماذا ترك هذا الأمر يحدث؟" فمن الطبيعي لنا أن نكتشف الله ونحاول أن نفهمه ونشرح طريقه. لذلك فمن الطبيعي أننا لا يمكننا أن نتجنب التفكير في هذه الأسئلة، لكن بما أننا أصبحنا أيضًا فائقين للطبيعة بسبب ميلادنا الجديد، فإننا نسارع بطرد تلك الأسئلة ونؤكد من جديد ثقتنا الكاملة بالله، مثلما فعل الرب يسوع في البستان وهو الإنسان الطبيعي والفائق للطبيعة. فقد رفض بإخلاص رغبته الطبيعية "وَقَالَ: يَا أَبَا الْأَبِّ، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ، فَأَجِزْ عَنِّي هَذِهِ الْكَاسَ"، وذلك حسب رغبته الفارقة للطبيعة في طاعة الله الأب: "وَلَكِنْ لِيَكُنْ لَأَ مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ" (مرقس ١٤: ٣٦).

لا بد أن نتذكر أن السؤال الأول على الإطلاق عن سلامة الله وصلاحه ونواياه قد أثاره الشيطان فقال: "أَحَقًّا قَالَ اللهُ...؟" (تكوين ٣: ١). ومنذ ذلك الحين انتشرت مثل تلك الأسئلة داخل مؤسساتنا المسيحية ومدارس الأحد ودراساتنا للكتاب المقدس. وعندما يتم طرح هذه الأسئلة، يتدمر إيمان الكثيرين من المشاركين الصامتين. الله نهى آدم وحواء عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر. أصغت حواء لسؤال الشيطان: "أَحَقًّا قَالَ اللهُ...؟"، الذي تسبب في معصية آدم وحواء لله ثم طردهما من جنة الله. إنني أحذرك وأحذر الكنيسة عامة: لا تنصت لأسئلة مثل هذه لأنها علامات على الطريق تؤدي إلى الجحيم، تأخذك خارج جنة الوجود مع الله مثلما فعلت مع حواء.

في هذا الصدد قال سليمان بحكمة: "تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ، وَعَلَى فَهْمِكَ لَا تَعْتَمِدْ" (أمثال ٣: ٥). يحدث التحول في جنة الوجود مع الله وليس في محاولة الفهم. فيوجد انحطاط وظلام خارج الجنة المقدسة. الله أعظم من أن يستوعبه عقل الإنسان. وعندما نحاول القيام بذلك، نقوم بتطوير تصور خاطئ له مما قد يؤدي بنا، دون علمنا، إلى أن يكون لدينا روح قاتلة. وهذا ما فعله علماء الكتاب المقدس في أيام الرب يسوع مما دفعهم لقتله. وهذا ما جعل شاوول الطرسوسي يتكون لديه تصور خاطئ عن الله فمضى يحاول هدم المسيحية. يريد الله أن نعرفه بالإعلان. وهذا يأتي عن طريق السير معه ونحن نسير معه عندما نتبع الرب يسوع. لو أن آدم وحواء لم يعصيا الله في الجنة لكانا ينتقلان من مجد إلى مجد، وارتفعا وتحولا إلى شبهه وازدهر قلباهما بسبب إعلانات الله المتجددة عن عظمتة إلى الأبد.

مشكلتنا هي أننا نبحث عن علماء بينما ينبغي أن نبحث عن أتباع. لقد أصبحنا نعتمد أكثر من اللازم على العلماء الذين صاروا هم التحقيق للنبوة القائلة: يَتَعَلَّمُونَ فِي كُلِّ حِينٍ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُقْبَلُوا إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ (تيموثاوس الثانية ٣: ٧). ومثلما أدى تعليم الفكر اللاهوتي في أيام الرب

يسوع إلى صلبه، لذلك فإنه غالبًا ما يقتل اليوم كل أمر روعي. يخرج باستمرار علماء يعرفون الله ولكن دون أن يعرفوه، ليس لديهم حياة صلاة ولا يسيرون مع الله وهي الأمور التي تأتي من العلاقة اللصيقة معه.

أين الله؟ لماذا يتركنا الله ندخل هذه التجربة؟ تفسد هذه الشكوك العلاقة فيما بيننا وبين الله. يحتاج الله إلى الثقة الكاملة؛ كما يلزم أن نعرفه كما عرفه أيوب. عندما أصيب أيوب بتجربة مأساوية كان رد الفعل الأول لديه أنه سقط على وجهه وصلى. عندما تصيبك بلية هل تسقط على وجهك وتصلي أم تتساءل عن الله؟ هل تعرف (ginosko) الله؟ هل تعلم أن لديه في قلبه دائمًا أفضل مصالح لك، حتى عندما لا يمكنك رؤيتها في ذلك الوقت؟

إذا كانت الدراسة لا تعلمني أن أسير مع الله فأنا لا أريد تلك الدراسة. وإذا لم تقدي إلى حياة صلاة قوية وحياة إنكار الذات، فأنا لا أريدها. وإذا كانت لا تقودني إلى محبة شريك الحياة بشكل أفضل، وإلى أن أكون من أعمدة الكنيسة وأقوم بالشهادة للرب يسوع في كل مناسبة، فلا أريدها. إننا نتعلم من الناس، لكن إليك ما قاله بولس بعد أن فشل في التعلم من الناس: "وَأَعْرَفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ. لِأَنِّي لَمْ أَقْبَلُهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلَا عُلَّمْتُهُ. بَلْ بِإِعْلَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (غلاطية ١: ١١، ١٢). فكر في ذلك، لقد جاء لاهوت العهد الجديد كله من الوحي وليس من مؤسسات. والآن نتأمل في بعض الأسباب التي تجعلنا نميل بسهولة إلى أن نسأل الله.

١- ليس الله محدودًا بالطبيعة البشرية. الطبيعة البشرية محدودة. قد نركض بسرعة، ولكن في مكان واحد في الوقت الواحد، كما لا يمكن أن نستوعب الكثير بعقولنا المحدودة. الطبيعة البشرية تلوثت بالسقوط ولا يمكنها أن تعمل بشكل صحيح إلا عندما تتكل في اعتماد تام على الله. "الله رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا" (يوحنا ٤: ٢٤). وهو قدوس. كل ما فيه لانهائي وجميع أفكاره وأفعاله تتبع من الروح. ويختلف عنا في

طريقة تفكيره وفي استجابته للظروف وفي تقييم الأمور. فمثلاً أعطى الله لإبراهيم ابناً بطريقة معجزية ثم أمره بأن يقدمه ذبيحة له. وسمه بإقامة طابيثا من الموت لكنه سمح لبولس أن يعاني من شوكة في الجسد طوال بقية حياته. الرب يسوع قال عن بطرس إنه "شيطان"، ولكن بعد ذلك بستة أيام أخذه إلى جبل التجلي كأن شيئاً لم يحدث أبداً. الله روح. "مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ" (رومية ١١: ٣٣). فهل يمكنك أن تثق بالله في حياتك؟ هل تفعل ذلك؟ إن كنت تعرفه (ginosko) ، فستفعل ذلك. سيكون وجوده معك في كل مكان وستعرف أن النهاية ستكون جميلة بما يفوق خيال أي إنسان.

٢- الله لا يسير حسب توقيت الإنسان. إننا كبشر، ننفذ منا الوقت. لنا بداية ولنا نهاية. أما الله فليس له بداية أو نهاية. نحن ننحصر في هذه المساحة الضيقة التي تسمى "الوقت" فيما بين الولادة والموت، وهذا يجعلنا متوترين. لذلك فإننا، إذا جاز التعبير، ننفذ الوقت منا باستمرار. لدينا فقط الوقت لإنجاز كل شيء، لذلك فالضغوط مستمرة. ويضيع الوقت منا كل يوم. إننا نريد من الله أن يحدث نهضة في زماننا وأن يخلص أطفالنا قريباً. كما نريد الله أن يخلصنا من الألم اليوم. وإذا لزم الأمر، قد نرقص ونصرخ ونصيح كما فعل أنبياء البعل من أجل أن يستحيب الله لتوقعاتنا ويتناسب مع التوقيت الذي لدينا. لكن نقطة مرجعية الله ليست هي الوقت بل الأبدية. إنه لا يتحرك وفقاً لجدولنا الزمني، بل حسب مدى توافق أحوال قلوبنا مع خطته للأجيال. لم يقدم الرب يسوع الشفاء للأعرج عند باب الجميل، مع إنه ربما يكون قد مرّ عليه كثيراً. لقد ترك تلك المعجزة لبطرس ويوحنا. أصاب الذعر مريم ومرثا لأن الرب يسوع لم يتفق مع جدولهما الزمني لشفاء لعازر. لكن الرب يسوع المخلص الأبدي، تحدى الحدود الزمنية للإنسان وأقام لعازر من الموت بعد أربعة أيام من وفاته. إن الرب يسوع المسيح المتجسد هو الأبدية التي تتحرك داخل الزمن لكن بدون أن يحبسها الزمن داخله.

٣- الله لا يمانع أن يبدو كأنه خاسر. يرغب الإنسان أن يبدو فائزًا في كل الأوقات. هذا جزء من الطبيعة البشرية. لكن تذكر أن الله ليس له طبيعة البشر. الله لا يرضي الإنسان دائمًا، لذلك فهو لا يضطرب إذا ظهر كأنه خاسر. تأمل فكر في ذلك. اختار الله أن يجعل وجوده معروفًا في تابوت العهد (أربعة أقدام في قدمين في قدمين). وسمح للفلسطينيين بأخذ هذا التابوت الصغير (صموئيل الأول ٤ إلى ٦). بدا الله كأنه خاسر. ولكن عندما تم وضع هذا التابوت الصغير بجانب تمثال داجون الضخم، وهو إله للفلسطينيين، سقط داجون على وجهه وفاز القدير في التابوت. ولد الملك يسوع في مغارة بينما كان هيرودس الملك يقيم في قصر. كيف بدا الله عندما هرب الطفل المسيح إلى مصر لاجئًا؟ كيف بدا الله عند تعليق الابن الوحيد على الصليب ونزف ومات؟ الله لا يمانع أن يبدو خاسرًا. إن لديه خطة أبدية وهو يعمل على تنفيذها، وهذا يتضمن في بعض الأحيان أن يبدو كأنه خاسر. والأمر ذاته معنا حيث ينفذ خطته الأبدية من خلالنا. قد نبذو مثل الخاسرين في بعض الأحيان. فكلما ازداد التصقتنا بالله في مسيرتنا معه، قلت رغبتنا في الشهرة وزادت رغبتنا في المعيشة في حياة البر.

٤- الله يبحث عن لحظات مثالية للتحرك من خلالها. مرة أخرى يرى الله كل شيء في ضوء الأبدية، مما دفعه إلى الانتظار أربعة آلاف سنة من أجل تحقيق الوعد الذي قدمه في سفر التكوين: "وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنْ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ" (غلاطية ٤: ٤). إننا كبشر نرغب في العمل الفوري، ومن الصعب علينا أن ننتظر أن يصل أمر إلى الكمال حينما نظن أنه أمر جيد بالفعل. إننا نرغب في أن نقدم النفوس إلى المذبح قبل أن يشعروا بالتبكييت الكاملة على خطاياهم؛ ونعمدهم قبل أن يكونوا مستعدين لحمل الصليب؛ ونقوم ببناء مباني الكنيسة قبل استعداد الناس لتحمل العبء المالي. لا يمكننا أن نستوعب روحياً ومنطقياً أن الله كامل ويرغب في انتظار اللحظة المثالية للقيام بعمل مثالي كامل. إن معدل

الفشل والإخفاق في الكنيسة كبير جدًا لأنه لا يمكننا الانتظار إلى أن تنضج
الثمار أو يفسس البيض أو تتماسك الخرسانة.

إن طرق الله وأفكاره بعيدة عن طرقنا وأفكارنا. فإن أردنا السير مع الله، فلا
بد أن نصل إلى معرفة الله (**ginosko**) التي ترضينا وتعطينا يومًا للراحة.
والآن أنت تعرف ما قصد الرب يسوع عندما صلى قائلاً: ...أن يعرفوك
(يوحنا ١٧: ٣).

لمزيد من مقالات القس اسشولتيز قم بزياره لموقعنا www.schultze.org

Reimar A.C. Schultze PO Box 299 Kokomo, Indiana 46903 USA